

أعظم الدروس والعبر في سيرة الإمام ابن باز الأغر

تأليف

عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الله العقيل

قدم له واعتنى بنشره

الشيخ/ عبد الله بن عبد العزيز العقلا

مصدر هذه المادة :





بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن سيرة العلماء الأفذاذ والمجتهدين الأخيار والربانيين الأطهار والمتقين الأحبار فيها أعظم العبر والدروس؛ لأنهم قدوة الأمة ونورها الوضاء ا لذي يهتدي به السائرون إلى رضوان الله وجنته، وهم ورثة الأنبياء، وهم حراس الملة والدين، وهم الحصن الحصين والسد المنيع بعد الله تعالى أمام ظلمات الفتن والشهوات والشبهات أيضًا، ولهذا فإن وفاة سماحة العلامة الإمام المجتهد إمام أهل السنة والجماعة في هذا القرن عبد العزيز بن عبد الله بن باز في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر الله المحرم لعام عشرين وأربع مائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة هز مشاعر المسلمين المتقين واعتصر له القلب حزنًا وأسفًا، فلا ينبغي أن تمر وفاة هذا العالم الإمام الرباني على عموم المسلمين وطلبة العلم مرور الكرام، ومجرد أحزان عاطفية وآلام وقتية تضمحل مع الأيام دون أخذ الدروس والعبر منها.

ففي سيرة سماحته من الدروس ما يجب أن يقف عليها عموم الدعاة وطلبة العلم، والعلماء أيضًا؛ فكل حياة سماحته دروس مهمة ومناهج تربوية يستحسن أن تقرأ بإمعان ونظر؛ فله منهجه السلفي في الفتوى، وله منهجه في التعلم والتعليم، وله طريقته العظيمة في

احتواء الناس ومخاطبتهم وحل مشاكلهم على تنوع ثقافتهم ومكانتهم؛ فهو جامعة شاملة يستقصى منها كل فنون العلم والأخلاق.

وإن من أجمل ما كتب في الدروس والعبر المستفادة من سيرة سماحته رحمه الله هذا المؤلف الذي ركز فيه مؤلفه جهده وعقله وخرج لنا بهذه الدروس العظيمة، وهذه الاستنباطات المهمة، وهي تدل على براعة المؤلف وجودة منهجه وأسلوبه وغزارة ثقافته مع عمق النظرة وشموليتها لكل جوانب سيرة سماحته، ولعل طلبة الدراسات العليا الخاصة بالدراسات الدعوية أن يتحفوا المكتبة الإسلامية بدراسات علمية محققة متأنية عميقة تحمل كل جوانب حياة سماحته في العلم والعمل والدعوة والتواضع وغيرها.

ففي حياة الإمام عبد العزيز من الفوائد ما لا يعد ولا يحصى؛ فنحن بأمس الحاجة إلى منهجيته رحمه الله؛ خاصة في هذه الأيام التي كثر فيها الغبش والفتن والمصائب على أمة الإسلام، فاختلطت المفاهيم وكثر الهرج مع قلة القدوة السلفية المثالية التي لديها العلم الشرعي الغزير والفهم المتبصر لما تقتضيه المصلحة والواقع.

فسيرة سماحته هي السيرة المثالية للعالم المسلم الذي سار على منهج رباني بنور وبصيرة، وهي صورة واقعية معاصرة؛ فهذا قليل من كثير يجب أن يؤديه طلبة العلم تجاه سماحة الإمام؛ فقد قدم للأمة الإسلامية ما يعجز أن يدونه الكتاب وراصدو السير، فجزى الله سماحته عن الإسلام والمسلمين خيرًا لقاء ما قدم لدينه وأمته.

وجزى الله سعادة الأستاذ/ عبد الله بن عبد اللطيف العقيل خيرًا على هذا المؤلَّف المركَّز العميق بشموليته وإدراكه وفهمه؛ فقد سبق له أن جالس الشيخ رحمه الله واستفاد منه وسبر حياته وحركاته، فجاءت هذه الكلمات من القلب بنظرة فاحصة وأسلوب ممتع شيق.

ولعل الدعاة وطلبة العلم يقرؤون هذه الدروس والعبر ويأخذون بها ويستفيدون منها ويطبقونها في أرض الميدان والواقع، والله المستعان، واسأل الله أن ينفع بهذه الدروس ويجزي كاتبها على ما قدَّم خيرًا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قاله

عبد الله بن عبد العزيز العقلا

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الحي القيوم، والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير إمام الهداة المتقين وسيد الخلق أجمعين المبعوث رحمة للعالمين بشيرًا ونذير؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] وبعد:

فقد قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿يُقَلِّبُ اللهُ الليْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤]، وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الليْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]، وأن من أعظم العبر في اختلاف الليل والنهار وجرياهما أهما يطويان الآجال وتتصرم بتكرارهما الأعمار؛ فكل يوم يمضي وليلة تمر إنما تبعدنا عن دار الابتلاء والفناء وتقربنا إلى دار الجزاء والبقاء، والسعيد حقيقة من وفَّقه الله لتذكر هذه الحقيقة العظيمة، وهذه الحكمة الكبرى والغاية العظمى التي قال الله تعالى فيها: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ

إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ، فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ [المؤمنون: ١١٥- ١١٦]، والسعيد من اغتنم دقائق عمره بما يعمر به الباقية ويحقق له السعادة والسرور في الدنيا والآخرة، ويؤهله لنيل رضوان الله وجنة المأوى، والمؤمن الموفَّق من لا يغفل عن تذكر حقيقة الدنيا وأنها ما هي إلا الابتلاء ومتاع الغرور، وأن الآخرة هي دار النعيم السرمدي المقيم، كما قال الله تعالى عن مؤمن آل فرعون: **﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ، مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [غافر: ٣٩، ٤٠] .

ثم إن سيرة العلماء الربانيين الهداة المتقين فيها أعظم العبر والذكرى والقدوة؛ لأنهم النور الذي يهتدي به السائرون إلى رضوان الله وجنته، وهم ورثة الأنبياء، وهم حراس الملة الحنفية السمحة، وهم الحصن الحصين والسد المنيع بعد الله تعالى أمام ظلمات الفتن والشبهات والفساد في الأرض على هدى وتأييد من الله رب العالمين الذي من عليهم بالعلم والفهم لكتابه العزيز، ونوره المبين، وسنة رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ووفقهم للعمل بهما، والدعوة إليهما، والثبات عليهما، فالله أكبر! ما أعظم حاجة الخلق إليهم، ولا عجب أن يكون مماتهم خسارة كبرى ومصيبة عظمى على أهل الإسلام؛ بل الإنسانية جميعًا.

ولقد كانت وفاة سماحة علامة الإسلام وإمام أهل القرآن في هذا الزمان العالم العامل المجتهد عبد العزيز بن عبد الله بن باز في

يوم الخميس السابع والعشرين من شهر الله المحرم لعام عشرين وأربع مائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة - خطبا جللا حَلَّ بأهل الإسلام بكت له العيون، وانقضَّت له المضاجع، واعتصرت له القلوب حزنًا وأسفًا، و لا حول ولا قوة إلا بالله، و ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

نسأل الله الرحيم ولي الصالحين أن ينور قبره ويرفع درجته في المهديين ويجعل منزلته في أعلى عليين مع الذين أنعم عليهم ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، كما نسأله أن يبارك في علم الشيخ وفتاواه؛ لكي تستنير بهما الأمة جيلا بعد جيل بإذن الله، كما نسأله تعالى بلطفه ورحمته أن يتولى أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويخلف عليها بعلماء ربانيين هداة مهتدين يكونون قدوة للصالحين وحماة للدين، سائرين على منهاج النبوة الصافي مقتفين أثر السلف الأخيار، ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، في علمهم وعملهم وأخلاقهم.

كما نسأله تعالى أن يبارك في كافة العلماء وطلبة العلم في بلاد الإسلام، وأن يرزقهم الإخلاص التام والاتباع التام لكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قولًا وعملًا وخلقًا وتعاملًا؛ إنه هو الولي الحميد.

وبعد هذا فلا ينبغي أن تمر وفاة هذا الإمام على المسلمين عمومًا وعلى العلماء وطلبة العلم خصوصًا بمجرد أحزان وآلام

تخف وتختفي مع الأيام دون استلهام الدروس المهمة من سيرته رحمه الله والوقوف على ما فيها من العبرة والأسوة لتكون معينة للـــهمم على الاستقامة والثبات على الإيمان والعمـــل الصـــالح والطريـــق المستقيم، شاحذة لتعلم وفهم كتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم والعمل بهما والدعوة إليهما على علم وبصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، والصبر على ذلـــك، ومؤكـــدة علـــى ضرورة الفهم العميق والإدراك الشامل لمقاصد الشريعة الإسلامية، وعلى الحياة الإسلامية الشاملة للمسلم الحق في أخلاقه وتعامله وفي تقواه وصبره وفي صدقه وإخلاصه، وحاثة على خدمـــة الإســـلام والمسلمين في كل مكان ونفعهم بكل وسيلة، والثبات والاســـتقامة على ذلك كله دون كلل أو ملل حتى الممات.

وفيما يلي يمكن استعراض أعظم الدروس والعبر من سيرة هذا الإمام رحمه الله وأحسن مثواه.

الدرس الأول

العبرة الأولى

الرسوخ في العلم والإيمان واليقين، ودلائل ذلك من الصبر و الاستقامة على العمل الصالح والدعوة إلى الله مع الإخلاص والخشية من الله والتقوى والورع والزهد في الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، [فصلت: ٣٠]، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] .

لقد وفق الله تعالى الشيخ العلامة ابن باز وأعانه على التبحر في العلوم الشرعية والإحاطة بها؛ فقد صبر وصابر، وجد واجتهد في طلب العلم الأصيل من منبعه ا لصافي الذي لم ولن يتكدر أبدًا، وهو القرآن العظيم وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ومنذ نعومة أظفاره وهو ينهل من العلم ويستزيد حفظًا وفهمًا واطلاعًا حتى فتح الله على بصيرته وأصبح علمًا وتعلمًا من أعلام الإسلام لا

يشق له غبار في سعة العلم والفهم لأدلة الوحيين النيِّرين: الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وفي معرفة أقوال واجتهادات السلف الأخيار من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة الإسلام، وفي الفهم العميق والإدراك الدقيق لمقاصد الشريعة المطهَّرة مع سعة في الأفق وبعد في النظر، حتى أصبح بفضل الله من كبار العلماء المجتهدين وأئمة الهدي في تاريخ الإسلام، وخاصة في العصر الحديث الذي كان في مسيس الحاجة إلى مثله.

والحمد لله الذي أخرج من أمة الإسلام مثل هذا الإمام ليكون حجة على الناس ومبصرًا إلى حكم الله ورسوله في جميع الأمور الحادثة والجديدة، وحافظًا لدينه وشريعته، وذلك جزء من وعد الله بحفظ هذا الدين، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩].

إن دلائل وثمرة اليقين، ورسوخ العلم والإيمان، والصدق مع الله تعالى والإخلاص له في القصد والقول والعمل، وابتغاء ما عنده سبحانه، وكثرة خشيته - واضحة جلية في سيرة هذا الإمام القدوة والعلامة الحجة، والعلماء الربانيون هم الذين يعملون بما يعلمون؛ لما وقر في قلوبهم من اليقين بموعود الله للمؤمنين الصادقين بالحياة الطيبة والنصر والتأييد في الدنيا، وبرضوانه وكرامته في جنة الفردوس في الآخرة، ولا خير في علم وإيمان لا يعمل بهما، بل إن من أركان الإيمان ودلائله العظام هو العمل، والإيمان في عقيدة أهل السنة والجماعة اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان؛ بل إن العلم الصادق يقتضي العمل، وما وقر في القلب فقد صدقه

العمل، وما ليس كذلك فلا، ولهذا نجد أن سماحة الإمام ابن باز كان عالمًا عاملًا بما يعلم داعيًا إليه حتى في أدق تصرفاته وأفعاله، وفي سلوكه وأخلاقه، وفي منطقه وعباراته، وفي عبادته، وفي جهاده ودعوته، وفي صبره وحلمه، وفي دروسه وتعليمه، وفي أحواله كلها؛ بل حياته كلها، مع مداومة واستقامة على ذلك، لا يكل ولا يمل منذ عرف وهو ابن سبع وعشرين سنة تاريخ تعيينه قاضيًا وحتى مماته بعزم لا يلين وهمة لا تنثني، يحتار فيهما الفكر، حتى إنه ليظن بكل كلمة يقولها، أو تصرف يتصرفه، أو حركة يقوم بها – أنها من السنة وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لشدة تمسكه بالعمل بالكتاب والسنة في كافة شؤون حياته.

وفيما يلي بعض الدلائل على مطابقة العلم العمل، وتصديق العمل للإيمان، ودلائل اليقين والإخلاص والصدق والزهد في الدنيا في حياة ابن باز رحمه الله، نحسبه كذلك إن شاء الله، وهي مشهودة وأخبارها معروفة متواترة:

١– الثبات على المنهج السوي والصراط المستقيم والحبل المتين: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والثبات على العقيدة الصحيحة الصافية، والمداومة على الأعمال الصالحة والعبادات المتنوعة، لم يتزعزع ولم يضعف في ثباته ومداومته على الحق المبين حتى أتاه اليقين، وسيتم الحديث عن ذلك بين ثنايا الدروس والعبر، وحيث سيتضح بجلاء ثباته على ذلك بعزم لا يلين وهمة لا تنثني ولا تضعف.

٢- المداومة والصبر على طلب العلم وعدم تململه منه؛ بل لا يشبع من الاستزادة منه حتى توفي رحمه الله، كما أشرت إلى ذلك آنفًا.

٣- المداومة والصبر والاحتساب على تعليم العلم وبذله للناس الخاصة والعامة مع النصح للأمة والدعوة إلى الله بقوله وعمله وقلمه وجاهه، وسيأتي الحديث عن هذا الأمر في وقفة ودرس آتٍ إن شاء الله.

٤- الصبر والبعد عن كل ما يغضب الله تعالى، وليس هو بمعصوم، ولكن هذا نتاج الإيمان واليقين وخشية الله تعالى؛ فلم يعرف عن الشيخ رحمه الله ومنذ حداثة سنه أنه قصر أو تهاون في واجب من واجبات الدين، أو ارتكاب معصية ظاهرة، ولم يعرف عنه أنه آذى إنسانًا، أو ظلم أحدًا، أو شتم أحدًا، أو اغتاب أحدًا، أو ازدرى أحدًا ، أو انتقم من أحد، أو اعتدى على حق أحد؛ بل هو طاهر القلب، عفيف اللسان واليد، نقي السريرة، كثير التفكر في الآخرة.

٥- المداومة والصبر على عبادة ربه، وطلب مرضاته بمختلف الأعمال الصالحة التي له حظٌّ وافر منها، ومن ذلك المحافظة على الصلوات، والمبادرة إليها في الجماعات، وأداؤها بخشوع وطمأنينة، وصلاة الليل، وصلاة النوافل، والصيام والصدقات، والقربات، وتلمُّس حاجات المساكين والضعفاء، ومد يد ا لعون لهم، والشفاعة لهم، والإحسان إلى الناس عامة، ونفعهم بكل ما يستطيع من أمور

الدنيا والآخرة، والمبادرة والمسارعة إلى كل بر وخير وإحسان، أو المشاركة فيه ودعمه وتشجيعه، وصلة الأرحام والإحسان إلى ذوي القربى والجيران، والكرم الذي لا يجارى ولا يبارى.

٦- الأخلاق السامية العظيمة التي نال منها حظًا وافرًا بتوفيق الله وفضله، وسيكون هناك دروس ووقفة مستقلة معها فيما سيأتي إن شاء الله.

٧- المداومة على الدعاء والتضرع لله تعالى وكثرة ذكره سبحانه وتعالى وتسبيحه بالغدو والآصال بالليل والنهار في ممشاه وجلوسه، في سيارته ومكتبه، في درسه ومنزله؛ بل حتى بين سكتاته وحديثه، لا يفتر عن ذكر الله وعن الاستغفار، مع المداومة على الخشية والخوف من الله تعالى وتذكر الآخرة وأحوال أهلها.

٨- الثبات والصبر أمام مغريات الدنيا وزينتها، بل الإعراض عنها بالكلية؛ فلم تُغْره أو تَغَرُّه مظاهرها الزائفة التي فتن بها أكثر الخلق، مع أنه قد بوأه الله تعالى مكانة سنية عالية بين الخلق، وجاهًا ومناصب وكلمة مسموعة لدى ولاة الأمر وذوي الشأن، ولكن كل ذلك لم يهمه ولم يصرف همته السامية الماضية وعزمه الذي لا يلين عن القصد العظيم والمطلب الأسمى وغاية المنى: رضوان الله وجنة الفردوس وما فيها من النعيم المقيم التام العظيم الذي لا يحول ولا يزول، وصلاح وسعادة المسلمين جميعًا؛ فقد كانت الآخرة وكان رضوان الله وجنة المأوى وكان إصلاح أحوال المسلمين والحرص المستديم على فوز ونجاح ونجاة المسلمين جميعًا رعاة

ورعية، في دينهم ودنياهم - كان محطَّ نظره، وشاغلَ فكره، وغايةَ أمله؛ فاسترخص في سبيل ذلك نفسه وماله ووقته وبدنه وجاهه؛ بل حياته كلها؛ بل الدنيا وما عليها، وهو معروف تمامًا بأنه لم يمتع نفسه بالأموال ولا الأسفار ولا الأجازات ولا الراحة ولا المنصب ولا الرحلات ولا غيرها أبدًا مع تمكنه التام من ذلك.

وهو معروف بأنه لم يأخذ إجازة بالمعنى المتعارف عليه ولو يومًا واحدًا طيلة عمره العملي المديد المبارك الذي تجاوز الخمسين عامًا؛ لما وقر في قلبه من اليقين بموعود الله لعباده العاملين المصلحين، وأن ما عنده تعالى خير وأبقى، وأن هذه الدنيا ما هي إلا متاع الغرور، نحسبه كذلك إن شاء الله

فلله ما أعظم الهمة، وما أعظم الصبر والاحتساب، والله أكبر! من يطيق ذلك؟ لقد كان كثيرًا ما يردد في محاضراته وأقواله: «النجاة النجاة يا عبد الله»، «اعمل بأسباب النجاة من عذاب الله يا عبد الله»، «انج بنفسك يا عبد الله»، «يا عبد الله عليك بتقوى الله»، ولذلك فقد سخر الإمام ابن باز كل ما أعطاه الله من علم وفهم ووقت وطاقة وجاه ومنصب وكلمة مسموعة في خدمة دين الله تعالى ونصره والدفاع عنه والدعوة إليه وإصلاح أحوال المسلمين ونفعهم ونصحهم حكامًا ومحكومين في كل مكان وزمان.

٩- ا لهمة العالية الشريفة: التي لا تضعف والعزم الذي لا يلين، وسيكون هناك درس ووقفة مستقلة معها فيما سيأتي إن شاء الله.

١٠- ما وفَّقه الله تعالى ودله عليه من إصابة الحق والقول الفصل بالحجة القاطعة والبرهان الصادق بالأدلة النقلية والعقلية لأكثر مسائل الشريعة الإسلامية المطهرة والأمور الحادثة؛ بأقوال وفتاوى وتوجيهات فيها الطمأنينة للقلب، وفيها الهدى والنور، وفيها الرفق والسماحة.

١١- ما كتب الله تعالى له من القبول والمحبة في الأرض؛ فقد وَجَدَت أقواله وفتاواه وتوجيهاته واستنباطاته قبول وطمأنينة السواد الأعظم من أهل الإسلام في مختلف قارات الدنيا، خاصتهم وعامتهم، أمراءهم وعلماءهم، مع محبة وود للشيخ ابن باز لا تجتمع إلا لقليل جدًا من البشر على مر الزمان، وستتبقى علوم الشيخ واجتهاداته وفتاواه المنورة بالأدلة الصحيحة والمحفوفة بالإخلاص والنصح للأمة، يستنير بها المسلمون وينهل منها الطالبون، ويَجدُ فيها طلاب الحق والهدى ضالَّتهم، وسيبارك الله فيها للمسلمين جيلاً بعد جيل إلى أن يشاء الله؛ لكي تنير لهم دروب الهداية وتبصرهم بحكم الله ورسوله فيما جَدَّ وما حصل من المسائل والحوادث، وما يحتاجونه من الأحكام في حياتهم الخاصة والعامة.

إن أسباب التوفيق للصواب والحق والقبول له من الناس مع محبَّتِهم معلومة ظاهرة، وهو ما عرف عن سماحته رحمه الله من الخشية لله تعالى وتقواه والخوف منه والإخلاص له في قصده وقوله وعمله وتجرُّده من حظوظ الدنيا وورعه في الفتيا، وما عرف عنه من الشغف التام بتحري الدليل وتتبع الحق من القرآن العظيم، وما ثبت في السنة المطهرة، وما عرف به من الاستيعاب لأقوال

واجتهادات أئمة السلف الأخيار، وما عرف به من الفهم العميق لمقاصد الشريعة المطهرة، مع محض النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وما عرف به من الصدع بالحق والبعد التام عن المجاملة والمداهنة والمحاباة في دين الله تعالى، وما عرف به من إيصاله للحق والهدى والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مع اللطف في القول والبعد عن التجريح والغلظة مع المعنيين بالنصيحة أو الفتوى أو مع المخالفين، مع أخلاق وأدب يأسر بهما القلوب أسرًا.

كذلك ما عرف عنه من البعد التام عن التعصب والهوى، مع سلامته المشهورة من الحسد والحقد، مع حسن ظن بإخوانه المسلمين، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «**من اتَّبَع رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، ومن اتبع رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس**». ولهذا فقد أصبح الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله بفضل الله تعالى العالم المجتهد، مفتي الأنام وقدوة العلماء والصالحين والصادقين، وإمام أهل القرآن؛ أهل السنة والجماعة في زمانه؛ بل أصبح بصبره ويقينه إمامًا في الدين يقتدى بعلمه واجتهاده ودعوته وعبادته وفتاواه، وينهل منها على مر الأجيال بإذن الله.

فأبشر يا شيخ عبد العزيز بموعود الله الذي لا يتخلف لعباده المتقين وأوليائه الصابرين المؤمنين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**﴾ [الأحقاف:

١٦]، وقال فيهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وقال فيهم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾. [القمر: ٥٤، ٥٥].

الدرس الثاني

العبرة الثانية

الثبات والمداومة على الدعوة إلى الله وتعليم العلم، والإفتاء على علم وبصيرة، ونصرة دين الله وكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح للإسلام والمسلمين في كل مكان، محققًا عالمية الشريعة المحمدية وسعة اهتمام العالم الرباني، واستقامته وثباته على ذلك منذ ما يزيد على خمسين عامًا حتى أتاه اليقين.. ويتضح ذلك جليًا من خلال الآتي:

١- لقد كان المنهج الأصيل والحبل المتين الذي وفق الله تعالى إليه الشيخ ابن باز وهداه إليه وثبّته عليه هو:

اعتصامه بكتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، واللذان لا يضل من تمسك بهما أبدًا، ومن اعتصم بهما فقد هدي إلى صراط مستقيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]
وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:

١٥، ١٦] وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣] وقال صلى الله عليه وسلم: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي**». وقال صلى الله عليه وسلم: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**».

وقال صلى الله عليه وسلم: «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**».

مع سعة علم ومعرفة بأقوال وآثار واجتهادات السلف الأخيار من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة الهدى وأعلام الإسلام، وقد كان يقتدى بهم ويستأنس بأقوالهم واجتهاداتهم واستنباطاتهم، مؤنسًا نفسه بآية طالما كان يرددها رحمه الله، وهي قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، مع المعرفة والإدراك الدقيق لعموم مقاصد الشريعة المطهرة، فهو مولع وذو شغف عظيم بالدليل الصحيح الصريح من الكتاب والسنة وتفسيرات واجتهادات علماء السلف الأخيار لهما، ولا يفتي في مسألة أو يذكِّر بأمر أو ينصح نصيحة إلا ويصدرها بالآيات البينات أو الأحاديث الشريفة أو كليهما مع الأقوال الصحيحة الراسخة

لأئمة الإسلام، والتي استند عليها في فتواه أو نصيحته أو دعوته أو اجتهاده.

٢- وهو يبلِّغ دين الله للعالمين بالحكمة والموعظة الحسنة ويوجِّه بألطف عبارة وأحسن إشارة وأعظم أدب، ويرشد إرشاد الناصح المشفق على أمته من أعماق قلبه، فتأسر مواعظه ونصائحه وفتاواه القلوب، وتستقر في شغافها مستنيرةً مهتديةً بها مطمئنةً إليها، متبعةً قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. [النحل: ١٢٥]، وهو عظيم الأدب مع المخالفين أو من يوجِّه نصحه إليهم، فلا يتهجم عليهم، ولا يسيء إليهم، ولا يؤذي مشاعرهم، ولا ينتقص من قدرهم؛ سواء كانوا من ولاة الأمر أو العلماء وطلبة العلم والدعاة أو المسؤولين أو من عامة المسلمين، كما أنه يعرف لأهل الفضل فضلهم ولأهل القدر قدرهم.

والغالب على منهج سماحته بيان الحق بالأدلة الصادقة الساطعة، والبراهين القاطعة، والحجج الدامغة؛ دون تجريح للآخرين، أو تعال عليهم، ودون مجاملة أو مداهنة في دين الله، لا يخاف في الله لومة لائم، ملتزمًا بالنصح الدائم لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم؛ قامعًا الفتن والمحدثات والبدع والمنكرات بالأدلة الباهرة والبصيرة النيرة والعقيدة الراسخة والتوكل الصادق على الله، لا يعتريه في ذلك تخاذل ولا تردد، رحمه الله.

٣- مداومة الشيخ وصبره واحتسابه على تعليم العلم الذي

علمه الله وبث الفهم الذي فهمه الله وبذله للناس الخاصة والعامة بالدروس العلمية المكثفة في المساجد التي هي الرياض الندية الجامعات الزكية، وبالمحاضرات والندوات الكثيرة المتنوعة، وبالكتب القيمة، وبالرسائل المفيدة، وبالفتاوى المكتوبة والمسموعة، وبالنصائح الجامعة الصادقة المختلفة الموجهة لخاصة الأمة وعامتها، وكلها ستبقى إن شاء الله صدقة جارية لسماحته ينهل منها المسلمون وطلاب الحق والهدى ويستنيرون بها مطمئنين جيلا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٤- المبادرة إلى مناصحة المسلمين حكامًا ومحكومين أفرادًا وجماعات، ومؤسسات وجمعيات، أمراء وعلماء، دعاة وطلبة علم، مسؤولين أو من سواد المسلمين، في كل مكان.

والشيخ الأمة ابن باز رحمه الله كان دائم التوصل مع المسلمين أفرادًا وجماعات في معظم أقطار الأرض، يهتم بمصالحهم عمومًا، والدعوية والدينية منها على وجه الخصوص.

محققًا عالمية الرسالة المحمدية على صاحبها أتم صلاة وأزكى سلام، وضاربًا أروع المثل فيما يجب أن يكون عليه علماء الإسلام الربانيين الأئمة المهديين المنورين بنور الوحي الراسخين في العلم والإيمان من الحضور والتواجد الدائم مع المسلمين أينما كانوا؛ يشاركونهم همومَهم الدينية والدنيوية، ويبادرون إلى توجيههم وإرشادهم ونصحهم وتثبيتهم على دينهم، مع عميق الإحساس وعظيم الشعور بعظم المسؤولية وحجم الأمانة الملقاة على كواهلهم

والتي ينتظر منهم كل مسلم قيامهم بها؛ بل تنتظره الأمة كلها؛ لأنهم هم ورثة الأنبياء وهم الذي يجب أن تكون لهم قدم السبق والمبادرة إلى تثبيت ونصرة إخوانهم المسلمين، ونفعهم بالعلم والنصح والإرشاد والدعم المادي والمعنوي، وتنبيه المسلمين الآخرين لأحوال إخوانهم، وتحقيق التكاتف بين المسلمين والتعاون بينهم على البر والتقوى.

وهذا ولله الحمد هو دين وحال هذه البلاد المباركة حرسها الله؛ فهي نصير لكل مسلم في الأرض، وهي أكثر من يتبنى قضايا المسلمين الدينية والدنيوية في كل مكان، بالدعم المادي والمعنوي، وبإنشاء المراكز الإسلامية، وبنصرة المظلومين والمضطهدين من المسلمين بالمال و الغذاء والدعوة حفظها الله من كل سوء ومكروه، وأدام عليها نعمة الأمن والإيمان، وجعلها بمنه وكرمه نصرًا وعزا وموئلا دائمًا للإسلام والمسلمين؛ إنه سميع مجيب.

والشيخ ابن باز في نصائحه وتوجيهاته وفتاواه ورسائله التي يبعث بها إلى الحكام والعلماء والمسؤولين وطلبة العلم، ولرؤساء الجمعيات والمراكز الدعوية ولعموم المسلمين؛ تجده ناصحًا مشفقًا مبينًا مسددًا داعمًا كافة جهود الدعوة والإصلاح والبر والإحسان؛ داعيًا لهم بالصلاح والتوفيق والعون والتسديد، حاثًا لهم جميعًا ومذكِّرًا باستمرار على أهمية الإخلاص لله تعالى في القول والعمل والقصد وضرورة تقواه وخشيته تعالى، وابتغاء ما عنده من الرضوان والكرامة بفعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات، والبعد عن الخرافات والبدع والشرك؛ داعيًا إياهم إلى الثبات على العقيدة

الصحيحة النقية عقيدة أهل السنة والجماعة، وإلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والاستقامة على دين الإسلام القويم وشريعته السمحة، وكان يحذِّرهم تحذير الناصح المشفق من طرق الغواية والعقائد الفاسدة والأفكار الهدَّامة والمناهج المنحرفة التي لا تَمُتُّ إلى الملة الحنيفية السمحة بصلة، كما يحذرهم من الفرقة والاختلاف وسوء الظن والتحاسد والتباغض والتناحر والغيبة، ويبين ما في ذلك من الشَّرِّ المستطير على الإسلام والمسلمين.

وكان يدعوهم إلى طهارة النفوس، وصفاء القلوب وسلامتها من الحسد والغل والحقد، وإلى حفظ الألسنة، والتعاون على البر والتقوى، حتى نفع الله بعلومه وبارك في دعوته ورسائله وفتاواه وتوجيهاته، وكتب له القبول العظيم، وستستمر أجيال الأمة تنهل منها وتستنير بها إلى أن يشاء الله، فضلا من الله ونعمة على هذا الشيخ.

٥- كفالة الدعاة والمصلحين والمعلمين في بقاع شتى من العالم، وإجراء الرواتب والأجور عليهم، ودعمهم بالكتب، والمال، والتوجيه، والنصح، وحث أهل الخير والإحسان ممن أنعم الله عليهم بالمال بالمساهمة في ذلك.

٦- لقد كان الشيخ المجاهد المجتهد عبد العزيز بن باز رحمه الله إمامًا في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والمنافحة عن دين الله، والدفاع عن الشريعة المحمدية والملة الحنفية ناصرًا لها منتصرًا لها في

كل مكان، بقوله وعمله، بنفسه وجاهه، بفتاواه ورسائله، بعزيمة صادقة، وإرادة ماضية، وتوكُّل على الله وحسن ظن به تعالى، لا يخاف فيه تعالى لومة لائم، ولا يداهن، ولا ينافق في دين الله.

لقد كان عونًا ومرشدًا وناصرًا للعلماء الصادقين والدعاة المهتدين المخلصين، وعباد الله المصلحين، وملجأ وحصنًا لهم بعد الله تعالى، يرشدهم ويَذُبُّ عنهم؛ بل لقد كان سماحته سدًا شامخًا وحصنًا منيعًا من حصون الإسلام العظام أمام الباطل والفتن والشبهات والبدع والخرافات والمنكرات والمذاهب والمناهج الهدامة الفاسدة وأهلها ودعاتها، يقاومهم ويصدهم عما يريدون بالإسلام والمسلمين؛ بل ويبادر ما استطاع إلى منع شرورهم وبلائهم أن يحل بالإسلام والمسلمين بفتاواه ونصحه وجاهه ومراسلاته وبيانه للحق و الهدي والصراط المستقيم.

كما يبادر إلى تعرية تلك البلايا الخطيرة والشرور العظيمة وبيان بطلانها وفسادها وشرها وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة، والخطر المحيق بأهلها من غضب الله ونقمته وأليم عقابه وسخطه إن لم يتوبوا، وكل ذلك بأدلة واضحة وحجج نقلية وعقلية دامغة منورة بأدلة الوحيين، حتى غدا هو الضياء والملجأ والعصمة للأمة في زمان بعد الله تعالى عند اختلاط الأمور واحتدام ظلمات الفتن والشبهات والبدع والمنكرات والأفكار الباطلة.

٧- نصرتُه لقضايا المسلمين المختلفة واهتمامه بها؛ فما حَلَّ بأهل الإسلام في أي مكان من ظلم واضطهاد أو حروب أو تشريد

وقهر من أعداء الله ورسله إلا وبادر فازعًا لهم يشحذ همم المسلمين في كل مكان، ويخاطب فيهم إيمانهم لنصرة إخوانهم المنكوبين ومد يد العون لهم بالدعاء والدعوة، بالسلاح والمال، بالدواء والغـذاء، مبينًا عظم الفضل في ذلك ومنزلة هذا العمل الجليل عند الله، مـع إصدار الفتاوى والنداءات المنشورة فيما يتعلق بتلك المحنة أو المصيبة التي حلت بأهل الإسلام في ذلك البلد أو القطر، محققًا دائمًا عالمية الإسلام وشمولية اهتمام ودعوة العلماء الربانيين لكافة المسـلمين، رحمه الله وأحسن مثواه.

ولقد كان الإمام المجاهد الصابر عبد العزيز بن باز صابرًا محتسبًا عند الله ما يلاقيه في سبيل الثبات على كل ما سبق ذكـره مـن الأعمال الجليلة والمهام الجسـيمة؛ مـن مخـالفين أو مثـبطين أو متخاذلين، أو منهزمين، وما يلاقيه من تعب وجهد لا يطاق إلا من أولو العزم من العلماء؛ بل إن سماحته – رفع الله درجته في أعلـى عليين – قد أوقف نفسه ووقته وماله وبدنه وجاهه – بل حياتـه كلها – لهذه المهام العظيمة وهذه المسؤوليات الجسيمة التي هي من أشرف العبادات وأَجَلِّ القُرُبات وأعظم الطاعات نفعًا وبركـة في الدنيا والآخرة، وهي وظيفة المرسلين وورثتهم من العلماء الربانيين الهداة المتقين، والتي ينوء بحملها عظماء الرجال جماعات؛ ناهيـك عنهم أفرادًا.

وقد ثبت وداوم سماحته رحمه الله على تلك الأعمال والمهـام الجسام والمسؤوليات العظام منذ عرف في الدلم والخرج و هـو في ريعان شبابه وعمره آن ذاك لم يتجاوز الثلاثين عامًا؛ لم يمـل و لم

يكل و لم يتخاذل أو يتردد، و لم تضعف همته، و لم ينثن عزمه، مع تطاول السنين وضعف البدن وكثرة الفتن وكثرة الهموم والمسؤوليات واختلاف الزمان وكثرة المثبِّطين والمرجفين والمتخاذلين، حتى أتاه اليقين.

لقد كان ابن باز بصبره ويقينه إمامًا في الدين، وأرجو أنه أدرك حظًا وافرًا من قول الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤]، رحمه الله وقدس روحه وجزاه عنا وعن المسلمين خير ما جزى عباده العاملين الصالحين وأولياءه المصلحين المتقين؛ إنه أرحم الراحمين.

الدرس الثالث

(العبرة الثالثة)

ابن باز ذو الأخلاق العظيمة: عفة اللسان وطهارة القلب وحسن الظن بإخوانه، الحلم والصفح، السمت والوقار، التواضع ، الكرم، الرحمة والعطف بالمساكين.

قال الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمون تبع له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وأمره والمسلمين بقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا**». أخرجه البخاري، وقال: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**». رواه أبو داود والترمذي.

لقد وهب الله شيخنا ابن باز حظًا وافرًا من الأخلاق العظيمة التي قل أن يجتمع في إنسان بعض منها، وهي:

١- إحسانُ الظَّنِّ بإخوانه المسلمين وتَلَمُّس العذر لهم مع صفاء قلبه وطهارة نفسه عليهم؛ بل إنه لا ينام وفي قلبه شيء على مسلم؛ فلا يحقد على أحد، ولا يحسد أحدًا، ولا يحمل في قلبه أدنى سوء على إخوانه؛ بل هو على العكس من ذلك؛ فهو يفرح لفرح إخوانه ويسَّر بتوفيقهم وهدايتهم وتحسُّن أحوالهم ويدعو لهم

بالتوفيق والعون والسداد، يناصحهم ويرشدهم إلى الحق ويدعوهم إلى اتِّباعه، ويحثُّهم على الإخلاص والتقوى، ويدعِّم جهودهم الخيِّرة في كل مكان في الأرض، يحب لهم كل خير وسعادة وفلاح في الدنيا والآخرة؛ كما يحب لنفسه وأكثر، ويكره لهم كل شر وسوء ما يكرهه لنفسه؛ بل يغتم إن أصاب أحدهم أي سوء ويسعى لرفعه بماله ونصحه وجاهه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ولذلك نجد سماحتَه عفيفَ اللسان تمامًا من أعراض إخوانه المسلمين عامتهم وخاصتهم، فلا يغتاب أحدًا منهم أو يتشمَّت به أو يزدريه أو ينتقص من قدره أو يهمز فيه ويلمز.

فهو كما قلت عفيف اللسان طاهر القلب نقي السريرة؛ لأنه يخشى الله تعالى وليس لديه هوى في نفسه، وليس له مقصد من المقاصد الدنية الفاسدة؛ إنما يريد الإصلاح ما استطاع، ولا يبغي إلا وجه الله والدار الآخرة، وكثيرًا ما ينقل له أمر عن شخص أو طالب علم فيعتذر له ويقول لعله أراد كذا، أو لعله غاب عنه كذا، أو لعله نسي، كذا مع قوله هداه الله، ثم يبين الحق والهدى رحمه الله ورفع ذكره.

٢- تحمُّله وصبرُه على ما قد يحصل له من جفاء أو غلظة من بعض السائلين أو الزائرين أو العاملين معه أو عامة الناس أو حتى خاصَّة الناس وطلبة العلم؛ بل ربما إساءهم إليه بقول أو عمل، وهو لا يقابل ذلك كله إلا بالصبر والاحتساب وسعة الصدر وعظيم الحلم والصفح وصفاء النفس، ولا ينتقم لنفسه أو يتشفى لها ممن

أساء إليه أو خالفه؛ بل على العكس يسامحهم ويدعو لهم بالهداية والتوفيق، وربما بلغه أن شخصًا كان يسبه فلا يقابل الشيخ ذلك إلا بالدموع والمسامحة رحمه الله.

والشيخ حريصٌ على تأليف القلوب وصفاء النفوس وتحقيق المثل العليا في الأخلاق العظيمة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والشيخ مسامح في حقه الخاص دائمًا؛ فلا يهمُّه ذلك؛ بل غاية همِّه رضى الله ونصرة دينه والدعوة إليه والمنافحة عنه، ولا يغضب إلا لله نصرة لدينه وإقامة لشرعه ومنافحة عن شريعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه ليست إلا من أخلاق سيد المرسلين وإمام المتقين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

٣- حرصه على إجابة السائلين بوضوح وبيان كامل، وعدم الضجر من أسئلتهم مهما طالت أو تكررت أو اعتبرت تافهة في نظر البعض.

٤- سمته ووقاره وتواضعه وأدبه، ولطفه في حديثه، وحسن منطقة ومعشره، لا يجرح في الكلام، ولا يؤذي أحدًا بالقول ولا بالعمل، ذو هيبة عجيبة مع محبة وود يغرسها في النفوس غرسًا.

وهو مع جليل قدره وعظم هيبته وسمو مكانته في الأمة وكثرة مسؤولياته وأعماله والضيق الشديد في وقته تجده في تواضع جم، ولين جانب لإخوانه المسلمين، لم يعرف له مثيل في هذا الزمان، ليِّن العريكة، قريب من الناس خاصَّتهم وعامَّتهم؛ فكلٌّ من يقابله أو يزوِّره أو يسأله يظنُّ نفسه من خواصِّ الشيخ ومقرَّبيه؛ لما يجده من

تواضع هذا الإمام ولين جانبه وخفضه لجناحه وحسن معشره وسهولة الالتقاء به والجلوس معه والأنس بقربه في كل حين، حتى إنه ليأسر القلب ويملك الفكر ويتغلغل حبه في النفس شعرت أم لم تشعر، وصدق الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله حيث قال في الشيخ:

تناقلت الركبان أخبار شيخنا
فقلنا حديث المحب ضرب من الوهم
فلما تلاقينا وجدناك فوق ما
قد قيل في العلم والأدب الجم
فلم أر بازًا قطُّ من قبل شيخنا
يصيد فلا يؤذي المصيد ولا يدمي

٥- وهو ذو كرم فياض عجيب فاق فيه الكرماء ولا يستطيع أن يجاريه الأغنياء؛ فمنزله منذ عرف قبل أكثر من خمسين عامًا وهو مليء بالضيفان والزوار من كل بلاد الإسلام، يأكلون وينامون، ومليء بأهل الفضل وطلبة العلم والمساكين، فهو عالمٌ ربَّانيٌّ كدينه وعلى ملة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

إن هذه الأخلاق العظيمة والسجايا الجميلة ما هي إلا من أثر الرسوخ في العلم وتمام العقل والخشية لله والزهد في الدنيا وعظيم الحرص على نفع المسلمين ونصحهم وإصلاحهم؛ رغبة فيما عند الله تعالى من الرضوان والكرامة والفوز العظيم، والعالم الرَّبَّاني الحقيقيّ السائر على سنن المرسلين كلما ازداد علمًا وخشية لله

تعالى ويقينًا بموعوده؛ ازداد نصحًا للعباد وشفقة عليهم وحبًا لهـــم وتواضعًا لهم ورفقًا بهم وقربًا منهم وإحسانًا إليهم؛ لأنه لا يمكن أن يحقق النصح للعباد وتبليغ دين الله تعالى لهم دون أن يكون حاضرًا مع الناس قريبًا منهم خافضًا الجناح لهم معـــاملاً لهـــم بأحســـن الأخلاق، يألفه القريب والبعيد.

وذلك لكي تتحقَّق به القدوة والأسوة الحسنة ويتمكَّن الناس من التعلُّم منه، ويسهل عليهم السؤال والاستيفاء عن أمور دينـــهم ودنياهم في كل وقت، ولكي يمكن العالم الرباني المصلح من خلال قربه وتواجده مع الناس؛ من الاطلاع على مشاكلهم وهمـــومهم، ومن ثم بذل النصح والإصلاح والـــدعوة إلى الله ونفـــع العبـــاد والإحسان إليهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر على بصـــيرة وعلم بأحوالهم ومشاكلهم.

وهذه هي حال الرسول صلى الله عليه وسلم مع صحابته رضي الله عنهم، وهو مع هذا وذاك رحيم بالفقراء والمســـاكين وذوي ا لحاجات، قريب منهم؛ كما هو مع سائر المسلمين يقضي حاجاتهم ويَسُدُّ عوزهم ويواسيهم ويشفع لهم ويرعى مصـــالحهم رحمـــه الله وأكرم مثواه.

كما أن هذه الأخلاق العظيمة التي وهبها الله تعالى للعلامة ابن باز مع ما سبق أن ذكرته في الدرسين الأول والثاني هي الأســـباب الرئيسية المهمة التي أدت إلى محبة الناس له، خاصـــتهم وعامتـــهم، وقبولهم بفتاواه وتوجيهاته وأقواله، حتى سرت محبتُـــه في القلـــوب

سريان الدم في العروق، وأصبحت فتاواه وتوجيهاته واجتهاداته هي الفصل بلا منازع؛ بل أصبحت بحمد الله مرجعية ثابتة لأهل الإسلام في عصره، وللأجيال المسلمة القادمة تستبصر وتستنير بها وتجد فيها الحق والنور والطمأنينة والهدى؛ رحمة من الله تعالى ومِنَّةً وفضلا على هذا الشيخ الجليل العالم الجهبذ الإمام رحمه الله تعالى وجزاه خير ما جزى عباده العاملين الصالحين المصلحين.

الدرس الرابع

العبرة الرابعة

الهمة العالية السامية الشريفة:

إن همة الشيخ ابن باز العالية الشريفة العظيمة لمعالي الأمور وشرف الدنيا والآخرة والرغبة فيما عند الله تعالى من العزة والكرامة - واضحة جلية في سيرة حياته المباركة التي قد أفصحت عنها وأوضحتها في الدروس والعبر السابقة، والتي يتضح منها عظيم الإعانة والتوفيق من الله تعالى لهذا الشيخ؛ فلقد كان أمة في رجل بما يحمله من همِّ الإسلام والمسلمين، لقد كان يسير على الثرى وهمته في الثريا؛ بل في جنة الفردوس، فلله ما أعظم ثبات هذا الإمام الجهبذ المجاهد، ولله ما أجل استقامته ومداومته على تلك الأعمال العظام والمهمات الجسام التي لم يتضعضع عزمه عن القيام بها ولم تنثن همه ولم تضعف قوته في الثبات عليها، رغم تطاول السنين واختلاف الزمان وضعف البدن وكثرة الفتن وكثرة المتخاذلين والخاذلين والمنافقين والمثبطين، وكثرة تشعب الهموم والمسؤوليات وتفاقمها عليه.

نعم.. إنها إعانة الله ونصره وتثبيته لعباده المؤمنين وأوليائه المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]؛ إنها ثمرة الإحسان والتقوى، كما قال الله

تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

إنها ثمرة المجاهدة للنفس والهوى ومغريات الدنيا وحظوظ النفس، والمجاهدة في نصرة دين الله والدفاع عنه؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

إنها ثمرة الصبر واليقين الذي تنال به الإمامة في الدين، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وسأستعرض يومًا من أيام الشيخ المباركة؛ لكي يتبين فيه عظمة الهمة واليقين بموعود الله والإعراض عن الدنيا وبذل الحياة كلها لله.

تراه في آخر الليل وقبل الفجر ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، يسأل ربه الثبات على الحق والتوفيق للصواب والعون على هذه المسؤوليات الجسام، كما يسأله العفو والعافية والنجاة والفوز في الدنيا والآخرة.

ثم هو من أول الحاضرين لصلاة الفجر يصليها بخشوع واطمئنان، ثم درس مبارك نافع في علوم شتى لطلاب العلم إلى ما بعد طلوع الشمس بكثير، ثم سنَّة الإشراق بخشوع، ثم عودة إلى المنزل لفترة قصيرة، ثم الذهاب للعمل؛ حيث إنه من أول الحاضرين إليه، وهو من خلال ممشاه وجلوسه في عمله وأثناء ركوبه لسيارته

لا يترك الذكر والتسبيح والاستغفار، ثم يقوم خلال ساعات عمله بالاطلاع على الخطابات والمعاملات والاستفسارات القادمة إليه من كل مكان؛ من مسؤولين وأفراد، من علماء وطلبة علم، من خاصة الناس وعامَّتهم، من جماعات وجمعيات، من دعاة ومربين، من نساء ورجال، ليس من المملكة العربية السعودية فحسب؛ بل من جميع أقطار الدنيا، ثم يقوم بتوجيه الخطابات والرد على الرسائل والاستفسارات.

وبرغم كثرة الخطابات والرسائل التي تقدر بالآلاف إلا أنه لا يهمل أبدًا أي رسالة تأتي إليه من أي فرد كان صغيرًا أو كبيرًا عرف أو لم يعرف، ولا يترك واحدة منها دون إجابة عليها أو تعليق، وإعادتها لمن أرسلها بأسلوب لطيف وردود شافية وأجوبة واضحة هي كالغيث للأرض العطاش، وحتى يظن كل واحد أن الشيخ لم يطلع خلال ذلك اليوم إلا على رسالته، يضاف لذلك انشغاله المستمر بالرد على الاتصالات الهاتفية التي لا تنقطع من كل مكان؛ حيث يعطي كل متصل ما يريد ويجيبه ويوجهه لا ينقصه شيئًا.

هذا مع قيام الشيخ أثناء ساعات العمل وبعدها بالمبادرة بالاتصالات والنصح والدعوة إلى الله ونصرة دينه ونفع عباده؛ وذلك بالمهاتفة أو المكاتبة للمسؤولين الحكوميين، والدعاة، والعلماء، والأغنياء، ومسؤولي الجهات المختلفة، وجماعات المسلمين وجمعياتهم في كل مكان؛ لا يتخاذل عن نصرة دين الله أو إنكار منكر سمعه أو تصحيح خطأ وقع، أو القيام بواجب النصح والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا حاله كل يوم في ساعات العمل؛ حيث يبقى في عمله حتى الساعة الثانية والنصف ظهرًا، ثم يعود إلى منزله.

وفي السيارة تقرأ عليه الخطابات والمراسلات ويجيب عليها مع ذكر لله، فليس هناك وقت يذهب دون إنجاز وخدمة للأمة، ثم عند دخوله المنزل يتحقق من وضع الغداء، ثم يدعو الضيوف الذين يكتظ بهم مجلس الشيخ كل يوم إلى تناول الغداء ويرحب بهم أثناء الأكل، ثم بعد الغداء قراءة في التفسير أو غيره إن كان هناك وقت، ثم المبادرة إلى صلاة العصر وأداء أربع ركعات قبلها بخشوع، ثم درس قصير بعد الصلاة، ثم استراحة قصيرة في المنزل وتفقد لأهله وسؤال عنهم.

ثم استعداد لصلاة المغرب مع الذكر، ثم الحضور لصلاة المغرب مبكرًا، وبعد المغرب إما درس علمي عامر، أو محاضرة أو ندوة والتعليق عليها أو يكون في مجلسه المبارك يجيب السائلين ويستقبل الزائرين وذوي الحاجات، ويعيش مع أمته في أروع الصور، ويرد على الاتصالات والاستفتاءات التي لا تنقطع لدقيقة واحدة حتى أذان العشاء، وينصت للأذان ويأمر بالإنصات له، ثم يبادر بالتبكير لصلاة العشاء، وبعد العشاء إما لأهله وأسرته، أو مدارسة علمية، أو إصلاح بين الناس، أو يعالج مسائل خاصة، أو في زيارة ومناسبة عائلية، أو لإخوانه أو طلابه، ولا يفوت تلك المناسبات إلا بدعوة ونصيحة وقرآن وتفسير وتذكير؛ فليس لديه وقت يضيعه أبدًا، أو يكون في بعض الأحيان في مكتبته يستزيد من العلم بالاطلاع

والبحث والتحري والنظر؛ فهو يحب طلب العلم وسماعه ولا يمل منه.

وربما قام في أثناء ذلك بالنظر في بعض الرسائل المتبقية فيجيب عليها أو ينظر فيما يريد أن يبعثه من نصائح وخطابات للمسؤولين والعلماء والدعاة ولرؤساء الجهات المختلفة وغيرهم، ثم يتفقد أهله، ثم يتوضأ وينام، ثم لا يكاد ينام إلا بضع سويعات حتى يبدأ يومًا آخر مثله.

وهذا ليس يومًا استثنائيا في حياة الشيخ ابن باز؛ بل هذا من أيامه الاعتيادية التي استمر عليها الشيخ عشرات السنين "ما يزيد على خمسين عامًا" لا يكل ولا يمل ولا ينثني له عزم ولا تضعف له همة أينما حل أو ارتحل في الرياض أو الطائف أو مكة، وقبل ذلك المدينة والخرج، ولا يعرف الإجازات وليس لديه وقت إطلاقًا للنزهة أو الفراغ؛ بل يرى أن وقته شحيح عليه أمام ما يحمله من هموم الأمة وعلو الهمة، ومن المسارعة والمسابقة إلى كل خير واستغلال كل دقيقة من وقته في مرضاة الله ونصرة دينه ونفع عباده:

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام

واستمر على ذلك ثابتًا راسخًا رسوخ الجبال الرواسي حتى أتاه اليقين ولبى نداء ربه بشهادة كل من يعرفه أو تشرف بالقرب منه؛ فالله أكبر، من يطيق ذلك لأيام بل ليوم واحد، فما بالكم بعشرات السنين !! لكنها الهمة العالية العظيمة والإعانة العظيمة من

الله تعالى للشيخ عبد العزيز بن باز، وصدق نيته وبركة إخلاصه وخشيه لربه وسلامة صدره، وما وقر في قلبه من محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، واليقين بموعود الله بالرضوان وجنة الفردوس، وما ألهمه الله من معرفة السعادة الحقيقية، ومعرفة حقيقة الدنيا وأنها متاع الغرور، نحسبه كذلك إن شاء الله.

رحمك الله يا شيخ عبد العزيز، ورفع درجتك في المهديين، وجعل منزلك في أعلى عليين، وإن شاء الله إنك من المتقين الصابرين الذين هم ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]، وإن شاء الله إنك من الصدِّيقين الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

الخاتمة

إنه لم يكن القصد من الوقوف على هذه الدروس والعبر العظيمة مجرد الثناء والذكر الحسن للشيخ العلامة الإمام ابن باز رحمه الله؛ ولكن المقصود الحقيقي هو التذكير بالقدوة والأسوة الحسنة، ولهذا فإنه حري بكل مسلم – وخاصة العلماء وطلبة العلم – يريد لنفسه النجاة والفلاح والسعادة والشرف والكرامة في الدنيا والآخرة أن يعتبر ويقتدي بسير هؤلاء الأعلام النبلاء، والهداة الأجلاء، والصفوة الأخيار، أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وأعلام التقوى؛ يتبع هديهم وينهج نهجهم؛ لأنهم المبلغين عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خيري الدنيا والآخرة؛ بل ما هم إلا أتباع ومقتدون بسيدهم وإمامهم وقدوتهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار الأطهار رضي الله عنهم؛ كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

إن المطلب الأسمى والهدف العظيم وغاية المنى لكل عاقل هو الحياة الطيبة في الدنيا، والفوز برضوان الله وجنة المأوى في الآخرة – أي سعادة الدنيا والآخرة – ومن أعظم الأسباب لتحقيق ذلك الاستقامة على الإيمان والعمل الصالح والأخلاق الكريمة النبيلة، والدعوة إلى الله والصبر على ذلك، والاقتداء في ذلك بهؤلاء

الأخيار، والسير على نهجهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ٩٠].

إن في حياة هؤلاء وقصصهم لأمورًا عجيبة تحتاج إلى توقف وتفكر وتدبر؛ كما قال الله تعالى: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٦]، كما أن في حياتهم وأخبارهم وسيرهم العبرة والذكرى بالقدوة والأسوة الحسنة لأهل الإيمان والتقوى أهل العقول والألباب، نعم.. فقد قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى**﴾ [يوسف: ١١١].

والله المستعان وعليه التكلان، و لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا

وكتبه

عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الله العقيل

في شهر صفر ١٤٢٠ هجرية

الرياض– المملكة العربية السعودية

الفهرس

تقديم ٥
المقدمة.. ٨
الدرس الأول (العبرة الأولى)................................ ١٢
الدرس الثاني (العبرة الثانية)................................ ٢١
الدرس الثالث (العبرة الثالثة)................................ ٣٠
الدرس الرابع (العبرة الرابعة)................................ ٣٦
الخاتمة ٤٢
الفهرس.. ٤٤

